سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ
وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي
الْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

٤٨٣

سورة الشورى

معانى الكلمات :

يتفطرن : يتشققن من عظمته تعالى .

أولياء : معبودات يزعمون أنها تنصرهم .

حفيظ : رقيب محاسب .

بوكيل : بموكول إليك أمرهم .

أم القرى : مكة أى أهلها .

يوم الجمع : يوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه .

وإليه أنيب : إليه أرجع فى كل الأمور .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على وحدة الوحى بين الأنبياء جميعا وحقيقة الرسالة .

٢ ـ أن نعلم صفة الكون وحاله تجاه قضية الإيمان بالمالك الواحد .

٣ ـ أن نعرف صورة المناكيد الذين يتخذون من دون الله أولياء ، ونؤمن أنه لا ضير فى انحراف المنحرفين .

المحتوى التربوى :

هذه السورة تعالج قضية العقيدة كسائر السور المكية ؛ ولكنها تركز بصفة خاصة على حقيقة الوحى والرسالة ، حتى ليصح أن يقال : إنها هى المحور الرئيس الذى ترتبط به السورة كلها ، وتأتى سائر الموضوعات فيها تبعا لتلك الحقيقة الرئيسية فيها .

وقد سبق الحديث عن الأحرف المقطعة فى أوائل السور بما فيه الكفاية ، وهى تذكر هنا فى مطلع السورة ، ثم يذكر السياق أن ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله إليك مثله فى غيرها من السور ، وأوحاه إلى من قبلك يا محمد ﷺ من الرسل عليهم السلام ، وبهذه الطريقة يكون الوحى إليك وإلى الذين من قبلك ، فهى كلمات وألفاظ وعبارات مصوغة من الأحرف

التى يعرفها الناس ، ويفهمونها ويدركون معانيها ، ولكنهم لا يملكون أن يصوغوا مثلها مما بين أيديهم من أحرف يعرفونها .

ومن الناحية الأخرى تتقرر وحدة الوحى ، وحدة مصدره فالموحى هو الله العزيز الحكيم ، والموحى إليهم هم الرسل على مدار الزمان ، والوحى واحد فى جوهره على اختلاف الرسل والزمان ، إنها قصة بعيدة البداية وسلسلة كثيرة الحلقات ، ومنهج ثابت الأصول على تعدد الفروع .

يقول صاحب الظلال : « وهذه الحقيقة ـ على هذا النحو ـ حين تستقر فى ضمائر المؤمنين تشعرهم بأصالة ما هم عليه وثباته ، ووحدة مصدره وطريقه ، وتشدهم إلى مصدر هذا الوحى ﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ كما تشعرهم بالقرابة بينهم وبين المؤمنين أتباع الوحى فى كل زمان ومكان ، فهذه أسرتهم تضرب فى بطون التاريخ وتمتد فى جذورها فى شعاب الزمن ، وتتصل كلها بالله فى النهاية فيلتقون فيه جميعا ، وهو العزيز القوى القادر الحكيم الذى يوحى لمن يشاء بما يشاء وفق حكمة وتدبير ، فأنى يصرفون عن هذا المنهج الإلهى الواحد الثابت إلى السبل المتفرقة التى لا تؤدى إلى الله ، ولا يعرف لها مصدر ، ولا تستقيم على اتجاه قاصد قويم ؟ » .

وبعد أن بين الله عز وجل أن الذى أوحى إلى محمد ﷺ وإلى الرسل قبله هو الله العزيز الحكيم،بين أنه المالك الوحيد لما فى السموات وما فى الأرض ، وأنه وحده العلى العظيم ، فالجميع عبيد له وملك له ، تحت قهره وتصريفه .

ثم يعرض السياق مظهراً لخلوص الملكية لله فى الكون ، وللعلو والعظمة كذلك ، يتمثل فى حركة السموات تكاد تنفطر من روعة العظمة التى تستشعرها لربها ، ومن زيغ بعض من الأرض عنها ، كما يتمثل فى حركة الملائكة يسبحون بحمد ربهم ، ويستغفرون لأهل الأرض من انحرافهم وتطاولهم ، خوفا عليهم من السخط ، أو يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات ، حامدين له على ما أولاهم من ألطافه ، مستعجبين مما رأوا من تعرض المشركين لسخط الله تعالى ، ويستغفرون لمؤمنى أهل الأرض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ، أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب ، ويكون الإعلام من الله عز وجل أنه يستجيب لدعاء الملائكة فيغفر للمؤمنين ويرحمهم .

أما المشركون الذين جعلوا لله شركاء وأنداداً ، فالله شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عدًّا وسيجزيهم بها أوفر الجزاء والنبى ﷺ والمؤمنون معه معفون من التفكير فى شأنهم فقد كفاهم الله هذا الاهتمام .

ثم ذكر سبحانه منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل قرآنا عربيا بين الألفاظ والمعانى ؛ لتنذر مكة ومن حولها من سائر البلاد شرقا وغربا ، وتنذر الناس يوم الجمع الذى يجمع الله به

الأولين والآخرين ، وتخبرهم أنه لا ريب فيه ، وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين ؛ فريقا فى الجنة وهم الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، وفريقًا فى السعير وهم أصناف الكفرة والمكذبين .

ولو شاء الله لخلق البشر خلقة أخرى توحد سلوكهم ، فتوحد مصيرهم ، إما إلى جنة وإما إلى نار ، ولكنه سبحانه خلق هذا الإنسان لوظيفة ، خلقه للخلافة فى هذه الأرض وجعل من مقتضيات هذه الخلافة على النحو الذى أرادها ، أن تكون للإنسان استعدادات يجنح بها ومعها فريق إلى الهدى والنور والعمل الصالح ، ويجنح بها ومعها فريق إلى الضلال والظلام والعمل السيئ ، وينتهى كل فريق إلى النهاية المقررة فيكرم من يشاء بالإسلام ، والكافرون ما لهم من شافع ولا دافع .

وإذا نفى الله عز وجل أن يكون للظالمين ولى أو نصير يوم القيامة ، يبين أن الكافرين قد اتخذوا من دونه أولياء ، بل اتخذوا من دونه شركاء ، وهو استفهام إنكارى ، فإن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده ، وهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شىء . ويعود السياق إلى الحقيقة الأولى لبيان الجهة التى يرجع إليها عند كل اختلاف ، وهى هذا الوحى الذى جاء من عند الله يتضمن حكم الله كى لا يكون للهوى المتقلب أثر فى الحياة بعد ذلك المنهج الإلهى القويم ، فمهما اختلفتم فيه من الأمور ، فالحكم لله هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ وذلكم الحاكم فى كل شىء الله ربى إليه فوضت كل أمورى ، وإليه أرجع فى كل الأمور .

قال صاحب الظلال : « واستقرار هذه الحقيقة فى ضمير المؤمن ينير له الطريق ويحدد معالمه ، فلا يتلفت هنا أو هناك ، ويسكب فيه الطمأنينة إلى طريقه ، والثقة بمواقع خطواته ... ويشعره أن الله راعيه وحاميه ومسدد خطاه فى هذا الاتجاه النبى المهدى سالك هذا الطريق إلى الله واستقرار هذه الحقيقة فى ضمير المؤمن يرفع من شعوره بمنهجه وطريقه ، فلا يجد أن هناك منهجاً آخر أو طريقا يصح أن يتلفت إليه ، ولا يجد أن هنالك حكما غير قول ، وحكمه يرجع عند الاختلاف إليه ، والنبى المهدى ينيب إلى ربه الذى شرع هذا المنهج وحكم هذا الحكم » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ وحدة الوحى بين سائر الأنبياء إذ هى تدور على التوحيد والآخرة والحساب .

٢ ـ يوم القيامة يكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، وإعداد زاد الجنة مطلوب .

٣ ـ تفرق الناس فى أمر الدين مخالف لوصية الله تعالى ، والتفرق لا يكون إلا بغيا وظلما وحسداً .

فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ
وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٨٤

معانى الكلمات :

فاطر : خالق ومبدع ومخترع .

يذرؤكم : يجعلكم كثيرين منتشرين .

أزواجا : أصنافاً .

مقاليد : مفاتيح أو خزائن .

يبسط : يوسع .

يقدر : يضيق .

يجتبى : يختار .

بغيا : عداوة أو طلبا للدنيا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على بعض الأدلة على أن الله تعالى هو الإله الحق .

٢ ـ أن نؤمن بأن دين الله واحد والرسل جميعا قد أتت بالإسلام .

٣ ـ أن نعلم حرمة الاختلاف فى دين الله ومرد هذا الاختلاف .

المحتوى التربوى :

وصف الله عز وجل ذاته بما يدلل به على أنه وحده الحكم ، وأنه وحده الذى يجب التوكل عليه والإنابة إليه ، فالله منزل ذلك القرآن ليكون حكمه الفصل فيما يختلفون فيه من شىء وهو مدبر السموات والأرض ، والناموس الذى يحكم السماء والأرض ؛ هو حكمه الفصل فى كل ما يختص بهما من أمر وشؤون الحياة والعباد ، إن هى إلا طرف من أمر السموات والأرض فحكمه فيها هو الحكم الذى ينسق بين حياة العباد وحياة هذا الكون العريض ، ليعيشوا فى سلام مع الكون الذى يحيط بهم .

والله تعالى الذى يجب أن ترجعوا إلى حكمه هو الذى نظم لكم حياتكم وجعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وهو أعلم بما يصلح لها وما تصلح به وتستقيم ، وهو الذى أجرى حياتكم وفق قاعدة الخلق التى اختارها للأحياء جميعا، وقد خلق للأنعام من أنفسها أزواجا ، والله سبحانه يكثركم بهذا التدبير حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ، والله سبحانه ليس يشبهه ولا يماثله شىء من مخلوقاته ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ؛ لأن أسماءه كلها حسنى ، وصفاته صفات كمال وعظمة ، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شىء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه ، وهو السميع لكل الأصوات باختلاف اللغات ، على تفنن الحاجات ، البصير الذى يرى دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، ويرى سريان القوت على أعضاء الحيوانات الصغيرة جداً ، وسريان الماء فى الأعضاء الدقيقة ، وهذه الآية ونحوها ، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات ، ونفى مماثلة المخلوقات .

والله عز وجل ـ له ملك السموات والأرض ، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق ، والنعم الظاهرة والباطنة ، فكل الخلق مفتقرون إلى الله ، فى جلب مصالحهم ، ودفع المضار عنهم فى كل الأحوال ، ليس بيد أحد من الأمر شىء ،والله تعالى هو المعطى المانع ، الضار النافع ، الذى ما بالعباد من نعمة إلا منه ولا يدفع الشر إلا هو ، وهو يوسع على من يشاء من عباده ، ويضيق على من يشاء ، وله الحكمة والعدل التام ، فهو يعطى بعلم ويمنع بعلم .

ويقرر السياق حقيقة الأصل الواحد ، والنشأة الضاربة فى أصول الزمان ، ويضيف إليها لمحة لطيفة الوقع فى حس المؤمن ، وهو ينظر إلى سلفه فى الطريق الممتدة من بعيد ، فإذا هم على التتابع هؤلاء الكرام : نوح ... إبراهيم موسى وعيسى ، محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم ، ويستشعر أنه امتداد لهؤلاء الكرام وأنه على دربهم يسير ، إنه يستروح السير فى الطريق ، مهما يجد فيه من شوك ونصب ، وحرمان من أعراض كثيرة ، وهو يرفقه هذا الموكب الكريم على الله ، الكريم على الكون كله منذ فجر التاريخ .

يقول صاحب **الظلال** : « إنه السلام العميق بين المؤمنين بدين الله الواحد ، السائرين على شرعه الثابت ، وانتفاء الخلاف والشقاق ، والشعور بالقربى الوثيقة ، التى تدعو إلى التعاون والتفاهم ، ووصل الحاضر بالماضى ، والماضى بالحاضر ، والسير جملة فى الطريق ، وإذا كان الذى شرعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد ، هو ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ففيم يتقاتل أتباع موسى وأتباع عيسى؟وفيم يتقاتل أصحاب المذاهب المختلفة من أتباع عيسى ، وفيم يتقاتل أتباع موسى وعيسى مع أتباع محمد ؟ ... ولم لا يتضام الجميع ليقفوا تحت الراية الواحدة التى يحملها رسولهم الأخير ؟ والوصية الواحدة الصادرة للجميع أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فيقيموا الدين ويقوموا بتكاليفه ،ولا ينحرفوا عنه ولا يلتووا به ، ويقفوا تحت رايته

صفا وهى راية واحدة ، رفعها على التوالى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ـ صلوات الله عليهم ـ حتى انتهت إلى محمد ﷺ فى العهد الأخير » .

ويقرر السياق أن ما تدعو إليه من إقامة الإسلام والوحدة فيه وبه عظم على المشركين وشق عليهم ،و الله تعالى يجتلب ويجمع إليه بالتوفيق والتسديد من يشاء ، وهو الذى يقدر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريقة الرشد ، وقد لخص الله عز وجل ـ فى هذه الآية مضمون شريعته فى كل العصور ، وهى إقامة دينه، والاجتماع على ذلك ، فدين الله شريعة وجماعة . ولما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم ، ونهاهم عن التفرق ، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب ، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع ، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم وذلك كله بغيا وعدوانا منهم ، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا ، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة ، موضع الاختلاف ، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم ، ولولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنظار بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد ، لعجل عليهم العقوبة فى الدنيا سريعا ، وإن الذين ورثوا الكتاب من بعد جيل الخلافة ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم ، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم فى حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد .

ولأجل ذلك التفرق ، ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً ، فللذى أوحينا إليك من الدين الذى وصينا به جميع المرسلين قبلك ، فادع إلى دين الله والاجتماع عليه ، واستقم على أمر الله دون انحراف ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة من الرغبة عن دين الله عز وجل والتفرق عنه ، والاجتماع على غيره ، وقل : صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم ، وأمرت لأعدل بينكم فى الحكم كما أمرنى الله ، فهو المعبود لا إله غيره ، فنحن نقر بذلك اختياراً ، وأنتم إن لم تفعلوا اختياراً فله يسجد من فى العالمين طوعا وإجباراً ، ونحن برآء منكم ، وإنا لا نؤاخذ بأعمالكم ، وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا ، ولا مجادلة بيننا وبينكم لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به ، ولم يبق للجدال والمنازعة محل ، والله يجمع بيننا يوم القيامة ، وإليه المرجع لفصل القضاء ، فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم .

قال ابن كثير : « اشتملت هذه الآية على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التى قبلها ، حكم برأسها، قالوا : ولا نظير لها سوى آية الكرسى، فإنها أيضا عشرة فصول كهذه) .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ شعار المسلم : النظر للحق لا الخلق ، والدعوة إلى الحق وعدم الانحراف عنه .

٢ ـ من حق الإنسان أن يناقش وأن يحاول إقناع الآخرين برأية .

٣ ـ حرمة الفرقة فى الدين ، وشعار المسلم لمن حوله: أنت أخى فى الله .

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ
نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

معانى الكلمات :

يحاجون : يجادلون .

داحضة : باطلة زائلة .

الميزان : الشرع الذى توزن على أساسه الأعمال .

مشفقون : خائفون .

يمارون : يجادلون .

لطيف : رفيق .

روضات الجنات:أطيب أماكنها وأنزهها .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على بعض الحكمة فى إنزال الكتاب والميزان .

٢ ـ أن نتبين لطف الله تعالى بعباده .

٣ ـ أن نعلم حال الكافرين وهم ينتظرون عقابهم يوم القيامة .

المحتوى التربوى :

يقرر السياق أنه بعد استجابة العصبة المؤمنة لله هذه الاستجابة يبدو جدل المجادلين فى الله مستنكرا لا يستحق الالتفات ، وتبدو حجتهم باطلة فاشلة ليس لها وزن ولا حساب ، ويتم الفصل فى أمرهم ، وتركهم لوعيد الله الشديد ، ومن تكون حجته باطلة مغلوبة عند ربه فلا حجة له ولا سلطان، ووراء الهزيمة والبطلان فى الأرض، الغضب والعذاب الشديد فى الآخرة ، وهو الجزاء المناسب على اللجاج بالباطل بعد استجابة القلوب والجدل المغرض بعد وضوح الحق الصريح .

ويبدأ السياق فيذكر أن الله أنزل الكتاب بالحق وأنزل العدل ، وجعله حكما فيما يختلف فيه أصحاب العقائد السالفة ، وفيما تختلف فيه آراء الناس وأهواؤهم ، وأقام شرائعه على العدل فى الحكم ، العدل الدقيق كأنه الميزان توزن به القيم ، وتوزن به الحقوق ، وتوزن به الأعمال والتصرفات ، وينتقل من هذه الحقيقة ، حقيقة الكتاب المنزل بالحق والعدل ، إلى ذكر الساعة ، والمناسبة بين هذا وهذه حاضرة ، فالساعة هى موعد الحكم العدل والقول الفصل، و الساعة غيب ، فمن ذا يدرى إن كانت على وشك ، والناس عنها غافلون ، وهى منهم قريب ، وعندما يكون الحساب القائم على الحق والعدل ، الذى لا يهمل فيه شىء ولا يضيع .

ويصور موقف المؤمنين من الساعة وموقف غير المؤمنين ، والذين لا يؤمنون بها لا تحس قلوبهم هولها، ولا تقدر ما ينتظرهم فيها، فلا عجب يستعجلون بها مستهترتين ؛ لأنهم محجوبون لا يدركون ، وأما الذين آمنوا فهم مستيقنون منها ، ومن ثم هم يشفقون ويخافون ، وينتظرونها بوجل وخشية ، وهم يعرفون ما هى حين تكون ، وإنها لحق ، وإنهم ليعلمون أنها الحق ، وبينهم وبين الحق صلة فهم يعرفون ، وقد أوغلوا فى الضلال وأبعدوا فعسير أن يعودوا بعد الضلال البعيد .

وينتقل من الحديث عن الآخرة والإشفاق منها أو الاستهتار بها ، إلى الحديث عن الرزق الذى يتفضل الله به على عباده ، والصلة وثيقة .

يقول صاحب الظلال : « فالله لطيف بعباده يرزق من يشاء ، يرزق الصالح والطالح ، والمؤمن والكافر وهؤلاء البشر أعجز من أن يرزقوا أنفسهم شيئا ، وقد وهبهم الله الحياة ، وكفل لهم أسبابها الأولية ، ومنع رزقه عن الكافر والفاسق والطالح ما استطاعوا أن يرزقوا أنفسهم ولماتوا جوعا وعريا وعطشا ، وعجزاً عن أسباب الحياة الأولى ، ولما تحققت حكمة الله من إحيائهم وإعطائهم الفرصة ليعلموا فى الحياة الدنيا ما يحسب لهم فى الآخرة أو عليهم ، ومن ثم أخرج الرزق من دائرة الصلاح والطلاح والإيمان والكفر ، وعلقه بأسبابه الموصولة بأوضاع الحياة العامة واستعدادات الأفراد الخاصة ، وجعله فتنة وابتلاء يجزى عليها الناس يوم الجزاء . ثم جعل الآخرة حرثا والدنيا حرثا يختار المرء منهما مايشاء ، فمن كان يريد حرث الآخرة عمل فيه ، وزاد له الله فى حرثه ، وأعانه عليه بنيته ، وبارك له فيه بعمله ، وكان له مع حرث الآخرة رزقه المكتوب له فى هذه الأرض لا يحرم منه شيئا ، بل إن هذا الرزق الذى يعطاه فى الأرض ، قد يكون هو بذاته حرث الآخرة بالقياس إليه ، حين يرجو وجه الله فى تثميره وتصريفه والاستمتاع به والإنفاق منه ، ومن كان يريد حرث الدنيا أعطاه الله من عرض الدنيا رزقه المكتوب له لا يحرم منه شيئا ، ولكن لم يكن له فى الآخرة نصيب ، فهو لم يعمل فى حرث الآخرة شيئا ينتظر عليه ذلك النصيب .

وإذ بين الله عز وجل . ميزة كتابه الذى شرعه ، وبين ضرورة العمل به ، وخطأ الانحراف عنه ، فإنه فيما يأتى يناقش زعمين وقضيتين ، قضية السير فى شرع غير شرعه ، وقضية اتهام رسول الله ﷺ بالكذب عليه ، وكل من القضيتين يبدأ مناقشتها بكلمة (أم) ؛ فالقضية الأولى يبين السياق أنهم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس ؛ من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة التى كانوا قد اخترعوها فى جاهليتهم من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأموال الفاسدة، والسؤال : أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة شرعوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله .

ولولا القضاء السابق بتأجيل الجزاء إلى يوم القيامة لعوجلوا بالعقوبة ، وإن المشركين المتبعين غير شرع الله ظالمون ، لهم عذاب أليم فى الآخرة ، وإن أخر عنهم فى دار الدنيا ، ويصور الله لنا حال هؤلاء يوم القيامة، فترى المشركين فى الآخرة خائفين من جزاء كفرهم فى عرصات القيامة، وهو نازل بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا ، والتعبير العجيب يجعل إشفاقهم ما كسبوا فكأنما هو غول مفزع ، وهو هو الذى كسبوه وعملوه بأيديهم وكانوا به فرحين ، ولكنهم اليوم يشفقون منه ويفزعون وهو واقع بهم ، وكأنما هو بذاته انقلب عذابا لا مخلص منه وهو واقع بهم

وفى الصفحة الأخرى نجد المؤمنين الذين كانوا يشفقون من هذا اليوم ويخافون ، نجدهم فى أمن وعافيه ورخاء ، والتعبير كله رخاء يرسم ظلال الرخاء : « فى روضات الجنات ..... ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ بلا حدود ولا قيود ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ ... ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ فهو بشرى حاضرة ، مصداقا للبشرى السالفة ، وظل البشرى هنا هو أنسب الظلال .

قال ابن كثير : « فأين هذا من هذا ؟ أين من هو فى العرصات فى الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ، ممن هو فى روضات الجنات ، فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن، ومناظر ومناكح وملاذ، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ أى : الفوز العظيم ، والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ من جعل همه الآخرة ، وعمل فى الدنيا لنيل ثوابها زاده الله ثوابا ، ومن جعل همه الدنيا حرم من نعيم الآخرة.

٢ ـ بيان لطف الله بعباده فله الحمد وله المنة والشكر .

٣ ـ بيان وجوب إصلاح النيات ، فإن مدار العمل قبولا ورفضا بحسبها .

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾
٤٨٦

معانى الكلمات :

يقترف حسنة : يعمل عملا صالحا .

شكور : عظيم التقدير لثواب الطاعات .

افترى : ادعى وكذب .

بغوا : طغوا .

بقدر : بتقدير وحساب .

قنطوا : يئسوا من نزوله .

وينشر : ويبسط .

بمعجزين : بقادرين على أن تفلتوا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم وجوب التوبة وشروطها وقبول الله تعالى لها .

٢ ـ أن نتعرف على الحكمة فى تقدير الأرزاق وإعطائها بمقادير محددة .

٣ ـ أن نعرف أن المخالفة للقوانين يترتب عليه ضرر يصيب المخالف .

المحتوى التربوى :

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قرر أن هذا الجزاء حاصل لهم ، كائن لا محالة ، ببشارة الله لهم به ، وعلى مشهد هذا النعيم الرخاء الجميل يلقن الرسول ﷺ أن يقول لهم : إنه لا يطلب منهم أجراً على الهدى الذى ينتهى بهم إلى هذا النعيم ، وينأى بهم عن ذلك العذاب الأليم ، إنما هى مودته لهم ؛ لقرابتهم منه وحسبه ذلك أجراً والمعنى الذى أشرت إليه وهو أنه لا يطلب منهم أجراً ، إنما تدفعه المودة للقربى ـ وقد كانت لرسول الله ﷺ قرابة بكل بطن من بطون قريش ـ ليحاول هدايتهم بما معه من الهدى ، ويحقق الخير لهم إرضاء لتلك المودة التى يحملها لهم ، وهذا أجره وكفى .

يقول صاحب الظلال : « وعلى أية حال فهو يذكرهم ـ أمام مشهد الروضات والبشريات أنه لا يسألهم على شيء من هذا أجراً ، دون هذا بمراحل يطلب عليه الأدلاء أجراً ضخماً ، ولكنه فضل الله الذى لا يحاسب العباد حساب التجارة ، ولا حساب العدل ، ولكن حساب السماحة وحساب الفضل ، ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ وليس مجرد عدم تناول الأجر ، بل إنها الزيادة والفضل (ثم هى بعد هذا كله المغفرة والشكر، الله يغفر .. ثم الله يشكر ... ويشكر من ؟ يشكر لعباده .. وهو وهبهم التوفيق على الإحسان ... ثم هو يزيد لهم فى الحسنات ، ويغفر لهم السيئات ، ويشكر لهم بعد هذا وذاك ، فيا للفيض الذى يعجز الإنسان عن متابعته ، فضلا على شكره وتوفيقه » .

يقول صاحب الأساس : « بين الله عز وجل ـ فى هذه الآيات عاقبة المشركين السائرين على غير شرعه ، وبين عاقبة السائرين على شرعه ... (فهى) دعوة للسير على شريعة الله ، ودعوة لترك شريعة غير الله ، وبيان لعاقبة هؤلاء » .

والآن يأتى عرض القضية الثانية ، يأتى على الشبهة الأخيرة ، التى قد يعللون بها موقفهم من ذلك الوحى ، الذى تحدث عن مصدره وعن طبيعته وعن غايته فى الجولات الماضية : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فهم من ثم لا يصدقونه لأنهم يزعمون أنه لم يوح إليه ، ولم يأته شىء من الله ؟ ولكن هذا قول مردود ، فما كان الله ليدع أحداً يدعى أن الله أوحى إليه ، وهو لم يوح إليه شيئا ، وهو قادر على أن يختم على قلبه ، فلا ينطق بقرآن كهذا ، وأن يكشف الباطل الذى جاء به ويمحوه ، وأن يظهر للحق من ورائه ويثبته ، وما كان ليخفى عليه ما يدور فى خلد محمد ﷺ حتى قبل أن يقوله ، فهى شبهة لا قوام لها ، وزعم لا يقوم على أساس ، ودعوى تخالف المعهود عن علم الله بالسرائر،وعن قدرته على ما يريد، وعن سنته فى إقرار الحق وإزهاق الباطل ، وإذن فهذا الوحى حق ، وقول محمد صدق ، وليس التقول عليه إلا الباطل والظلم والضلال ، وبذلك ينتهى القول ـ مؤقتاً ـ فى الوحى .

ويمضى الحديث عن دلائل الإيمان فى الأنفس والآفاق وعن آثار القدرة فيما يحيط بالناس ، وفيما يتعلق مباشرة بحياتهم ومعاشهم ، وفى صفة المؤمنين التى تميز جماعتهم ، فيقول الله تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه ، إنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر ، ويعفو عما هو دون الشرك ، فيقبل التوبة فى المستقبل ، ويعفو عن السيئات فى الماضى ، والله تعالى عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ، ومع هذا يتوب على من تاب إليه ، ومجىء هذه الآية فى هذا السياق يقيد مطالبة بالسير فى شريعة الله ، ومطالبة بالتوبة عن السير فى غيرها أو فى المعصية.

ويستجيب الله تعالى ـ دعاء المؤمنين العاملين فيعطيهم مطلوبهم ويزيدهم عليه ، أو أن الذين اجتمع لهم الإيمان والعمل الصالح هم الذين يستجيبون الاستجابة الكاملة لخطاب الشارع ، والله ـ عز وجل ـ يكرمهم بالزيادة من فضله فلا يزالون فى ترق ، وما بعد أو أرجح فسياق السورة يفصل فى موضوع الاتباع الكامل والإقامة الكاملة لدين الله ، فمن اجتمع له الإيمان والعمل الصالح فهو المرشح لكمال العمل بالشريعة ، ولإقامة دين الله عز وجل .

والآية تشير إلى أن المؤمنين العاملين هم التوابون إلى الله ـ عز وجل ـ المستجيبون لأمره ، والكافرون لهم فى الآخرة عذاب موجع مؤلم ، وأى عذاب أشد من عذاب النار ، نعوذ بالله منها.

ولما ذكر السياق بسط الله الرزق لمن يشاء ، فإن الآية تأتى معللة لحجب الله التوسعة فى الرزق على كل الخلق ، فهو يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ، ويمنع ويعطى ، ويقبض ويبسط ، ولو أغناهم جميعا لبغوا ، ولو أفقرهم لهلكوا ، وما ترى من البسط على من يبغى ، ومن البغى بدون البسط فهو قليل ، ولا شك أن البغى مع الفقر اقل ومع البسط أكثر وأغلب ، فسبحانه يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك . وهو سبحان من بعد يأس الناس من نزول المطر ينزله عليهم فى وقت حاجتهم وفقرهم إليه ويعم برحمته الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية ، وهو الذى يتولى عباده بإحسانه ويتصرف بما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم وهو المحمود فى جميع ما يقدره ويفعله .

ويبدأ السياق فى ذكر نموذج من آيات الله عز وجل الدال عليه ؛ فمن آياته الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر خلق السموات والأرض مع عظمها ، وما ذرأ وفرق فى السموات والأرض من دابة ، وقد يكون فى ذلك إشارة إلى وجود حياة فى كواكب أخرى غير الأرض ، وقد يكون المراد غير ذلك ، والله عز وجل قادر على جمع دواب الأرض والسماء يوم القيامة ، ويتجلى عدل الله ، ويتجلى رحمته بهذا الإنسان الضعيف ، فكل مصيبة تصيبه لها سبب مما كسبت يداه ، ولكن الله لا يؤاخذه بكل ما يقترف ، وهو يعلم ضعفه وما ركب فى فطرته من دوافع تغلبه فى أكثر الأحيان يعفو عن كثير رحمة منه وسماحة ، هذا مع ما يتجلى من ضعف هذا الإنسان فما هو بمعجز فى الأرض ، وما له من دونه من ولى ولا نصير ، فأين يذهب إلا أن يلتجئ إلا إلى الولى والنصير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ بيان حق القرابة ووجوب المودة فيها ، واحترام قرابة رسول الله ﷺ وتقديرها .

٢ ـ بيان وعد الله باستجابة دعاء المؤمنين العاملين للصالحات ، وهم أولياء الله تعالى .

٣ ـ ما من مصيبة تصيب المرء فى نفسه أو ولده أو ماله إلا بذنب ارتكبه .

الجزء الخامس والعشرون — سورة الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

٤٨٧

معانى الكلمات :

الجوار : السفن الجارية .

كالأعلام : كالجبال الشاهقة .

رواكد : ثابتة ساكنة .

يوبقهن : يهلكهن .

محيص : مهرب .

البغى : الظلم والعدوان .

عزم الأمور : قوة العزيمة .

سبيل : وسيلة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على عظمة الله وبديع صنعه مما ورد فى الآيات .

٢ ـ أن نعلم صفات المؤمنين ونتخلق بأخلاقهم .

٣ ـ أن نعرف فضيلة العفو على الأخوة بين المسلمين وإصلاح ذات بينهم .

المحتوى التربوى :

يقول تعالى : ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه ، تسخيره البحر لتجرى فيه الفلك بأمره ، وهى الجوارى فى البحر كالجبال ، هذه فى البحر كالجبال فى البر .

يقول صاحب الظلال : « والسفن الجوارى فى البحر كالجبال آية أخرى من آيات الله ، آية حاضرة مشهودة ، آية تقوم على آيات كلها من صنع الله دون جدال ـ هذا البحر من أنشأه ؟ مَنْ من البشر أو غيرهم يدعى هذا الادعاء ؟ ومن أودعه خصائصه من كثافة وعمق وسعة حتى يحمل السفن الضخام ؟ وهذه السفن من أنشأ مادتها وأودعها خصائصها فجعلها تطفو على وجه الماء ، وهذه الريح التى تدفع ذلك النوع من السفن التى كانت معلومة وقتها للمخاطبين ـ

وغير الريح من القوى التى سخرت للإنسان فى هذا الزمان من بخار أو ذرة أو ما يشاء الله بعد الآن ـ من جعلها قوة فى هذا الكون تحرك الجوارى فى البحر كالأعلام ؟ » .

وإنها لتركد أحيانا فتمهد هذه الجوارى وتركد كما لو كانت قد فارقتها الحياة ، وفى إجرائهن وفى ركودهن على السواء آيات لكل صبار شكور ، والصبر والشكر كثيراً ما يقترنان فى القرآن ، الصبر على الابتلاء والشكر على النعماء، وهما قوام النفس المؤمنة فى الضراء والسراء ، أو يعصفها فيغرقن بعصفها ، بما كسبوا من الذنوب ، ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يجازى عليها ، ويعلم لينتقم الله منهم ، وليعلم الذين يجادلون فى الآيات إبطالها ودفعها ، ما لهم مهرب من عذابه ، ولا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا ، فإنهم مقهورون بقدرتنا .

قال الفخر الرازى : « واعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد أردفها بالتفسير عن الدنيا وتحقير شأنها ؛ لأن الذى يمنع من قبول الدليل إنما هو الرغبة فى الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه ، فإذا صغرت الدنيا فى عين الرجل لم يلتفت إليها ، فحينئذ ينتفع بذكر الدلائل ، فقال : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وسماه متاعا تنبيها على قلته وحقارته ؛ ولأن الحس شاهد بأن كل ما يتعلق بالدنيا فإنه يكون سريع الانقراض والانقضاء ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ والمعنى أن مطالب الدنيا خسيسة منقرضة ، ونبه على خساستها بتسميتها بالمتاع ، ونبه على انقراضها بأن جعلها من الدنيا ، وأما الآخرة فإنها خير وأبقى ، وصريح العقل يقتضى ترجيح الخير الباقى على الخسيس الفانى ، ثم بين أن هذه الخيرية إنما تحصل لمن كان موصوفا بصفات: **الصفة الأولى** : أن يكون من المؤمنين بدليل قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ .**الصفة الثانية** : أن يكون من المتوكلين على فضل الله ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فأما من زعم أن الطاعة توجب الثواب ، فهو متكل على عمل نفسه لا على الله ، فلا يدخل تحت الآية . **الصفة الثالثة** : أن يكونوا مجتنبين لكبائر الإثم والفواحش (كالشرك وقذف المحصنات والفرار من الزحف وغير ذلك من الموبقات ، والفواحش : ما عظم قبحه وفحشه كالزنا واللواط) ...

وقيل : المراد بكبائر الإثم : ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات ، وبالفواحش ما يتعلق بالقوة الشهوانية ، وبقوله : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ما يتعلق بالقوة الغضبية ، وإنما خص الغضب بلفظ الغفران ؛ لأن الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبة ، فلهذا السبب خصه بهذا اللفظ والله أعلم : **الصفة الرابعة** : قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ ﴾ والمراد منه : تمام الانقياد، فإن قالوا : أليس أنه لما جعل الإيمان شرطا فيه فقد دخل فى الإيمان إجابة الله ؟ قلنا : الأقرب عندى أن يحمل هذا على الرضاء بقضاء الله من صميم القلب وألا يكون فى قلبه منازعة فى أمر من الأمور .

ولما ذكر هذا الشرط قال : ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والمراد منه إقامة الصلوات الواجبة ؛ لأن هذا هو الشرط فى حصول الثواب ، وأما قوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ أى : لا يتفردون برأى ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه . **الصفة الخامسة** : قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ والمعنى أن يقصروا فى الانتصار على ما يجعله الله لهم ولا يتعدونه ... » .

ثم بين الله تعالى حدَّ الانتصار ؛ فيجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة ، ومن عفا عمن أساء إليه وأصلح ما بينه وبينه فعادت المودة وعاد الإخاء فأجره على الله وهو خير له وأبقى من شفاء صدره بعقوبة أخيه الذى أساء إليه ، فالله لا يحب الظالمين فيضاعف الأجر ويجزل المثوبة للمظلوم إذا عفا وأصلح ، وللذى ظلم فانتصر لنفسه وردّ الظلم عنها فهؤلاء لا سبيل لكم إلى أذيتهم وعقوبتهم ، هذا حكم الله وشرعه ، ويبين أن السبيل إلى العقوبة والمؤاخذة هو على الذين يظلمون الناس بالاعتداء عليهم فى أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم ، ويتكبرون فى الأرض ويعلون ويفسدون بالباطل ، أولئك لهم عذاب شديد موجع يوم القيامة ، فمن خصائص المسلمين ألا يلوموا وألا يعاقبوا من انتصر بحق أو بعدما ظلم ، ثم يعود إلى التوازن والاعتدال وضبط النفس والصبر والسماحة فى الحالات الفردية وعند المقدرة على الدفع كما هو مفهوم ، وحين يكون الصبر والسماحة استعلاء لا استخذاء ، وتجملا لا ذلا ، فالصبر والغفران معه مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه . وبعد تقرير صفة المؤمنين الذين يدخر الله لهم عنده ما هو خير وأبقى ، يعرض ما فى الصفحة المقابلة صورة الظالمين الضالين ، وما ينتظرهم من ذل وخسران ، فقضاء الله لا يرد ، ومشيئته لا معقب عليها ، فإذا علم الله من حقيقة العبد أنه مستحق للضلال ، فحقت عليه كلمة الله أن يكون من أهل الضلال ، لم يكن له بعد ذلك من ولى يهديه من ضلاله ، أو ينصره من جزاء الضلال الذى قدره الله ، و الذى يعرض منه مشهداً فى بقية الآية .

فالظالمون كانوا طغاه بغاة ، فناسب أن يكون الذل هو مظهرهم البارز فى يوم الجزاء ، إنهم يرون العذاب فيتهاوى كبرياؤهم ، يتساءلون فى انكسار : ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ وفى هذه الصيغة الموحية باليأس مع اللهفة ، والانهيار مع التطلع إلى أى بارقة للخلاص .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ـ دلائل القدرة مبثوثة فى الأرض والسماء ، فعلينا أن نتدبرها فى هذا لندرك عظمة الخالق سبحانه .

٢ـ ثواب الله كبير لمن عفا وأصلح وفوض أمره لله تعالى .

٣ـ العصمة من الضلال والانحراف لا يكون إلا باللجوء إلى الله سبحانه والعيش فى رحابه .

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

معنى الكلمات :

خاشعين : خاضعين متضائلين .

ينظرون من طرف خفى : يسارقون من شدة الخوف .

نكير : إنكار لذنوبكم أو منكر لعذابكم .

فرح بها : بطر لأجلها .

كفور : شديد الكفر بالنعمة .

يهب : يعطى بلا مقابل .

أو من وراء حجاب : يسمع كلاما من الله دون أن يراه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن الطريق إلى النجاة لا يكون إلا بالإقبال على الله تعالى .

٢ ـ أن نتعرف على أحوال الناس من حيث الإنجاب وحكمة الله تعالى .

٣ ـ أن نعرف صور الوحى المختلفة التى يتعرض لها رسول الله ﷺ .

المحتوى التربوى :

يذكر السياق حال الكافرين وهم يعرضون على النار خاشعين لا من التقوى، ولا من الحياء، ولكن من الذل والهوان ، وهم يعرضون منكسى الأبصار ، لا يرفعون أعينهم من الذل والعار، ينظرون إلى النار خوفا منها ، والذى يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم فى نفوسهم أجارنا الله من ذلك .

وفى هذا الوقت يبدو أن الذين آمنوا هم سادة الموقف ، فهم ينطقون ويقررون ، أن الخاسرين ذُهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم فى دار الأبد ، وخسروا أنفسهم ، وفرق بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وأهاليهم ، وقرابتهم، فخسروهم ، ويجيء التعليق العام على المشهد بيانا لمآل هؤلاء المعروضين على النار ، فهم فى عذاب دائم سرمدى أبدى ، لا خروج لهم منه ، ولا محيد لهم عنه ،

وما كان لهم من أولياء ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ، ومن يضلل الله فليس له طريق إلى النجاة وليس له خلاص .

وفى ظل هذا المشهد يوجه الخطاب إلى المعاندين المكابرين ، ليستجيبوا لربهم قبل أن يفاجئهم مثل هذا المصير فلا يجدون لهم ملجأ يقيهم ، ولا نصيرا ينكر مصيرهم الأليم ، ويوجه الرسول ﷺ إلى التخلى عنهم إذا هم أعرضوا فلم يستجيبوا لهذا النذير ، فما عليه إلا البلاغ ،و ما هو مكلف بهم ولا كفيل ولا حفيظ عليهم .

ثم يكشف عن طبيعة هذا الإنسان الذى يعارض ويعاند ، ويعرض نفسه للأذى والعذاب ، وهو لا يحتمل فى نفسه الأذى ، وهو رقيق الاحتمال ، يستطار بالنعمة ، ويجزع من الشدة ، ويتجاوز حده فيكفر من الضيق ، يجحد ما تقدم من النعم ، ولا يعرف إلا الساعة الراهنة ، فإن أصابته نعمة أشر وبطر ، وإن أصابته محنة يئس وقنط .

ويعقب على هذا بأن نصيب هذا الإنسان من السراء والضراء من العطاء والحرمان كله بيد الله، فما لهذا الإنسان المحب للخير الجزوع من الشر، يبعد عن الله المالك لأمره فى جميع الأحوال ، والذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء والحرمان ، وهى قريبة من نفس الإنسان ، والنفس شديدة الحساسية بها ، فلمسها من هذا الجانب أقوى وأعمق ، وقد سبق فى السورة حديث عن الرزق بسطه وقبضه ، فهذه تكملة فى الرزق بالذرية ، وهى رزق من عند الله كالمال .

يقول صاحب الظلال : « والتقديم بأن لله ملك السموات والأرض هو التقديم المناسب لكل جزئية بعد ذلك من توابع هذا الملك العام ، وكذلك ذكر : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ فهى توكيد للإيحاء النفسى المطلوب فى هذا الموضع ، ورد الإنسان المحب للخير ، إلى الله يخلق ما يشاء مما يسر وما يسوء ومن عطاء أو حرمان .

ثم يفصل حالات العطاء والحرمان : فهو يهب لمن يشاء إناثا (وهم كانوا يكرهون الإناث) ويهب لمن يشاء الذكور ، ويهب لمن يشاء أزواجا من هؤلاء وهؤلاء ، ويحرم من يشاء فيجعله عقيما (والعقم يكرهه كل الناس) ، وكل هذه الأحوال خاضعة لمشيئة الله ، لا يتدخل فيها أحد سواه ، وهو يقدرها وفق علمه ، وينفذها بقدرته ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ .

قال النسفى مبينا صلة الآية بما قبلها : « لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن له تعالى الملك ، وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ، ويهب لعباده من الأولاد ما يشاء ، فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور ، وبعضا بالصنفين جميعا ، ويجعل البعض عقيما ، والعقيم التى لا تلد ، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد له ، وقدم الإناث أولا على الذكور ؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاؤه ، لا ما يشاؤه الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللاتى من جملة مالا يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم واجب التقديم ، وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ، ذكر البلاء ،

ولم أخر الذكور ـ وهم أحقاء بالتقديم والتأخير ، تدارك تأخيرهم ؛ بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير ، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر ، فقال : ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ .

وإذ ذكر الله ـ عز وجل ـ أنه أوحى إلى محمد ﷺ ـ والنبيين من قبله ، يعود السياق إلى الحقيقة الأولى التى تدور عليها السورة ، حقيقة الوحى والرسالة ويذكر أنواع الوحى ؛ ليكشف عن طبيعة هذا الاتصال بين الله والمختارين من عباده وفى آية صورة يكون ، ويؤكد أنه قد وقع فعلا إلى الرسول الأخير ﷺ ـ لغاية يريدها الله سبحانه ؛ ليهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ويقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله مواجهة ، إنما يتم كلام الله للبشر بواحدة من ثلاث : ﴿ وَحْيًا ﴾ يلقى فى النفس مباشرة فتعرف أنه من الله ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ وكما كلم الله موسى عليه السلام ، وحين طلب الرؤية لم يجب إليها ، ولم يطق تجلى الله على الجبل ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف) .. ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ وهو الملك « فيوحى بإذنه ما يشاء بالطرق التى وردت عن رسول الله ﷺ :

الأولى : ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال ﷺ : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

والثانية : أنه كان ﷺ يتمثل له الملك رجلا ، فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول .

والثالثة : إن كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه ، حتى إن جبينه ليتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إن كان راكبها ، ولقد جاء الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

والرابعة : إنه يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك فى سورة النجم .

هذه صور الوحى وطرق الاتصال ﴿ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ يوحى من علٍ ، ويوحى بحكمة إلى من يختار » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الملك كله لله وحده يخلق ما يشاء فيه بحكمة ويعطى لمن يشاء من عباده الإناث فقط والذكور فقط أو النوعين معا ، ويجعل من يشاء عقيما .

٢ ـ نعمة النسل من نعم الله وعلينا أن نشكر ربنا على ما رزقنا .

٣ ـ ما يقع من المصائب والكوارث سببه ما نرتكبه من المعاصى والذنوب .

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٤٨٩

معانى الكلمات :

روحا : قرآنا أو نبوة أو جبريل .

الإيمان : الشرائع التفصيلية التى لا تعلم إلا بالوحى .

صراط مستقيم:دين قويم (دين الإسلام).

أم الكتاب : اللوح المحفوظ أوالعلم الأزلى.

صفحا : إعراضا أو معرضين عنكم .

بطشا : قوة .

مثل الأولين : صفتهم أو قصتهم العجيبة .

سبلا : طرقا تسلكونها أو معايش .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن القرآن نور يستضاء به فى الحياة .

٢ ـ أن نتعرف على ما كانت الدعوة الإسلامية تلاقيه من مصاعب وعقبات .

٣ ـ أن نعرف مظاهر وحدانية الله فى الأرض .

المحتوى التربوى :

يقرر السياق أنه كما أوحينا إلى الرسل من قبلك أو كما وصفنا حالات الوحى ، أوحينا إليك بمثل هذه الطريقة ، وبمثل هذا الاتصال ، فالوحى تم بالطريقة المعهودة ، ولم يكن أمرك بدعا ، أوحينا إليك﴿ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ وفيه حياة ، يبث الحياة ويدفعها ويحركها وينميها فى القلوب وفى الواقع العملى المشهود ، ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ ، هكذا يصور نفس رسول الله ﷺ وهو أعلم بها ، قبل أن تتلقى هذا الوحى .

يقول صاحب الظلال : « وقد سمع رسول الله ﷺ عن الكتاب وسمع عن الإيمان ، وكان معروفا فى الجزيرة العربية أن هناك أهل كتاب فيمن معهم ، وأن لهم عقيدة فليس هذا هو المقصود ، إنما المقصود هو اشتمال القلب على هذه الحقيقة والشعور بها والتأثر بوجودها فى

الضمير ، وهذا ما لم يكن قبل هذا الروح من أمر الله الذى لابس قلب محمدعليه صلوات الله ، ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾ وهذه طبيعته الخالصة، طبيعة هذا الوحى، هذا الروح ، هذا الكتاب ، إنه نور ، نور تخالط بشاشته القلوب التى يشاء لها الله أن تهتدى به ، بما يعلمه من حقيقتها ومن مخالطة هذا النور لها .

ويتوجه الخطاب إلى النبى ﷺ فيقول : إنك تبين القرآن لهم وتوضحه ، وتنيره وترغبهم فيه وتنهاهم عن ضده ، وترهبهم منه، ثم فسر الصراط المستقيم بأنه الصراط الذى نسبه الله لعباده ، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته ، وإلى الله ترجع جميع أمور الخير والشر ، فيجازى كلا بحسب عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

يقول صاحب الأساس : « الخصائص المذكورة فى السورة للجماعة المسلمة يجب أن نعطيها صيغتها العملية فى حياتنا ؛ لأنه لا جماعة للمسلمين بدونها ، ولا إقامة للإسلام بدونها » .

سورة الزخرف

تعرض هذه السورة جانبا بما كانت الدعوة الإسلامية تلاقيه من مصاعب وعقبات ، ومن جدال واعتراضات ، وتعرض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها فى النفوس ، وكيف يقرر فى ثنايا علاجها حقائقه وقيمه فى مكان الخرافات والوثنيات والقيم الجاهلية الزائفة ، التى كانت قائمة فى النفوس إذا ذاك ، ولا يزال جانب منها قائما فى النفوس فى كل زمان ومكان .

تبدأ السورة بالحرفين : « حا . ميم » ثم يعطف عليها قوله : ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ ويقسم الله سبحانه وتعالى جعله فى صورته هذه اللفظية من جنس الكتاب المبين ، أو الكتاب المبين من جنس حا . ميم ، يقسم الله سبحانه بحا . ميم والكتاب المبين على الغاية من جعل هذا القرآن فى صورته هذه التى جاء بها للعرب ، فالغاية هى أن يعقلوه حين يجدونه بلغتهم وبلسانهم الذى يعرفون ، والقرآن وحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعله فى صورته هذه اللفظية عربيا ، حين اختار العرب لحمل هذه الرسالة ، لما يعلمه من صلاحية هذه الأمة ، وهذا اللسان لحمل هذه الرسالة ونقلها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

وهذا القرآن فى الملأ الأعلى فى أعلى الرتب وأفضلها ، فهو ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل ، ورفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها محكم برىء من اللبس والزيغ ، وكما أن الحكمة فى هذا الكون لا يستطيع البشر الإحاطة بها فإن هذا القرآن لا يستطيع البشر أن يحيطوا بكنه حكمته المتعددة الجوانب والظواهر والمظاهر ، وإنما يدركون بعضها.

ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله يقتضى ألا يترك عباده هملا ، لا يرسل إليهم رسولا ، ولا ينزل عليهم كتابا ، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال : أفنعرض عنكم ، ونترك إنزال الذكر إليكم ،